﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٤﴾ [المائدة: 64]

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمّا ذكر كفرهم وقولهم الإثم ونفاقهم، بيّن سوء مقالهم ومعتقدهم بما يزيل الغرابة

لَمّا ذكر نفاقهم وكفرهم أراد أن يزيل الغرابة من ذلك فبيّن بعض أكبر أفعالهم القبيحة التي تنمّ عن نفاقهم وسوء أفعالهم، فأخبَرَ بعظيم فِريتهم، من أقوالهم القبيحة؛ نفيًا لاستغراب نفاقهم[1]، "أي فمن يقول هذه العظيمة فلا يُستنكَرُ عليه أنْ ينافق"[2].

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مَغۡلُولَةٌۚ﴾: (غَلَّ) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى ثَبَاتِ شَيْءٍ، غَلَلْتُ الشَّيْءَ فِي الشَّيْءِ، أَثْبَتُّهُ فِيهِ، وغَلَّه: جَعَلَ فِي يَدِهِ وَعُنُقِهِ الغُلّ، وَهُوَ الْقَيْدُ الْمُخْتَصُّ بِهِمَا، وجمعه أَغْلَالٌ[3]. "﴿مَغۡلُولَةٌۚ﴾ ممسكة عن العطاء منقبضة عن الاتّساع فبي الرّزق، نَسَبُوهُ إلى البخل[4]. والمعنى أنّ "خير الله مُمْسَك"[5].

2) ﴿مَبۡسُوطَتَانِ﴾: (بَسَطَ) أَصْلٌ يدلّ على امْتِدَادِ الشَّيْءِ،

(1) الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/189، وابن عطية، المحرر الوجيز: 2/214، والرازي، مفاتيح الغيب: 12/397.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/214.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (غلّ)، وابن منظور، لسان العرب: (غلل).
(4) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 126، والزّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/189، والرّاغب، تفسير الراغب: 5/392، والبغوي، معالم التنزيل: 2/67.
(5) أبو عبيدة، مجاز القرآن: 1/170.

وَالْبَسْطَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ السَّعَةُ وَهُوَ بَسِيطُ الجِسْمِ وَالْبَاعِ وَالْعِلْمِ، وبَسْطُ اليد: مدّها، قال ﷻ: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾، ويستعمل تارة للطّلب، وللأخذ، وللبذل والإعطاء: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[1]، يَدٌ بَسْطَةٌ أي مطلقة[2].

3) ﴿وَلَيَزِيدَنَّ﴾: أي يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديًا في الجحود وكفرًا بآيات الله، أي كلما أنزل شيء من القرآن كفروا به فيزيد كفرهم[3].

4) ﴿وَٱلْبَغْضَآءَ﴾: (بَغَضَ) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الحُبِّ، والبغضاء: شدّة البُغض، وهو نفارُ النّفس عن الشّيء الذي ترغب عنه، ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾[4].

5) ﴿أَوْقَدُواْ﴾: (وَقَدَ) كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى اشْتِعَالِ نَارٍ، ويستعار للحرب كاستعارة النّار والاشتعال لها، ومنه قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾[5].

6) ﴿وَيَسْعَوْنَ﴾: سَعى الرّجلُ: أي عدا، وعمل وكسب، والسَّعْيُ: المشي السّريع، وهو دون العدو، ويستعمل للجدّ في الأمر، خيرًا كان أو شرًّا، قال تعالى: ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾، وأكثر ما يستعمل السَّعْيُ في الأفعال المحمودة[6]، ﴿وَيَسْعَوْنَ﴾ معنى السّعي في الآية: العمل والفعل[7].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

الإخبار عن عتوّ اليهود وبعدهم عن الهدى

يخبر الله تعالى معدِّدًا بعض أقوالهم القبيحة، فقالوا لَمَّا أصابهم جَدْبٌ: يد الله مقبوضة عن بذل الخير والعطاء، ألا حُبِسَتْ أيديهم عن فعل الخير والعطاء، وطُرِدُوا من رحمة الله بقولهم هذا، بل يداه ﷻ مبسوطتان بالخير والعطاء، يبسط ويقبض، لا حاجر عليه ولا مُكْره له، ولا يزداد الكافرون من نزول القرآن إلّا الكفر؛ ذلك لِمَا

(1) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (بسط).
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/216.
(3) الواحديّ، البسيط: 7/463، والزمخشري، الكشاف: 1/657.
(4) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (بغض).
(5) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (وقد).
(6) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات: (سعى).
(7) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/216.

هم عليه من الحسد، وأَلقينا بين طوائف اليهود العداوة والبغضاء، وكلّما جمعوا للحرب، وأعدوا لها عدّة، شَتَّتَ الله جمعهم، وأذهب قوتهم، ولا يزالون يجتهدون في ارتكاب ما فيه فساد في الأرض من السعي لإبطال الإسلام والكيد له والله لا يحب أهل الفساد[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغة العطف:

لمّا ذكر سوء خُلُقهم بنفاقهم عطف عليه سوء معتقدهم بأقوالهم

قوله جلّ شأنه: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾ عَطْفٌ على الجملة في قوله: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾، فإنّه لما كان أولئك من اليهود والمنافقين انتقل إلى سوء معتقدهم وخبث طويّتهم؛ إظهارًا لفرط التّنافي بين معتقدهم ومعتقد أهل الإسلام[2].

السرّ في إسناد القول لليهود دون أكثرهم:

القول بغلّ اليد صادرٌ عن اليهود الصّرحاء بلا نفاق منهم

قوله جلّ شأنه: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾ أسند القول إلى اليهود جميعًا؛ لأنّه قول اليهود الصّرحاء غير المنافقين. فهو قول عامّتهم[3]؛ لأنّه لو عبّر عنهم بالضّمير فقال: (وقالوا يد الله مغلولة) لأوهم أنّ قائل ذلك هم الرّبّانيون المذكورون في الآية السّابقة، ولم يُرد ذلك؛ لأنّ هذا القول صادر من عامّتهم ولم يختصّ بعلمائهم.

بلاغة المجاز:

عبّروا بغلّ اليد عن البخل وإمساك الرّزق

قوله جلّ شأنه: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾ نسبوا غلّ اليد لله تعالى؛ لأنّهم يريدون أنّه بخيل ممسك عن الرّزق، ولا يعنون أنّ يده موثقة[4]، فغلّ اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود[5]، والسّبب أنّ

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/216، والثعالبي، الجواهر الحسان: 2/398 - 399، ونخبة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم: 1/118.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 6/248.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 6/248.
(4) الواحديّ، البسيط: 7/452.
(5) الزمخشري، الكشاف: 1/654 - 655، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 2/135.

اليد آلة لأكثر الأعمال، لا سيّما دفع المال، فأطلق اسم السّبب (غلّ اليد) على المسبِّب (البخل)، وأسند البخل والجود لليد، كقولهم: فيّاض الكفّ، مبسوط اليد[1].

الدّعاء بغلّ أيديهم:

انتزع من قولهم المنكر دعاءً عليهم بالبخل والأسر وغلّ الأيدي في الآخرة

قوله جلّ شأنه: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ لما عبّروا بالغلّ مجازًا عن البخل، ونسبوه لله تعالى، انتزع من لفظهم دعاءً عليهم[2]، فلمّا قالت اليهود: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ قال الله: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ دعاءً عليهم بالبخل والنّكد، فكانوا أبخل خلق الله وأنكدهم[3]، وبغلّ الأيدي حقيقةً، في الدّنيا يغلّلون أسارى، وفي الآخرة معذّبين بأغلال جهنّم[4].

توجيه كيف ينسب الدّعاء إلى الله تعالى:

الدّعاء من الله تعالى تعليمٌ للعباد، وحثٌّ للدّعاء عليهم؛ فتعالى أن يكون فوقه مدعوّ

قوله جلّ شأنه: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ توجيه العبارة بأنّه دعاءٌ فيه إشكال؛ فكيف يدعو الله تعالى وهو من يُدعى ويُسأل؟ جوابه أنّ ذلك جاء تعليمًا للمسلمين، فكأنّه عزّ ذِكرُه حثّ على الدّعاء عليهم، كما علّمهم الاستثناء في قوله: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾، فجرى الدّعاء من الله تعالى مجرى الاستثناء منه، وكلاهما توقيف وتأديب، وقد علا وعزّ أن يكون فوقه مدعوّ[5].

وجه الدّعاء عليهم بالسّوء:

المراد به زيادة البخل والنّكد، وسوء السّمعة بفقدان مكارم الأخلاق

قوله جلّ شأنه: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من المعلوم بالضّرورة أنّ الله تعالى رحيم بعباده، فكيف جاز أن يدعوَ عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنّكد؟ وجوابه أنّ المراد الدّعاء بالخذلان الذي تقسو به قلوبهم، فيزيدون بخلًا إلى بخلهم، ونكدًا

(1) الرازي، مفاتيح الغيب: 12/394، والنسفي، مدارك التنزيل: 1/459.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 6/250.
(3) الرّاغب، تفسير الراغب: 5/393، والنسفي، مدارك التنزيل: 1/459.
(4) الزمخشري، الكشاف: 1/655 - 656، والرازي، مفاتيح الغيب: 12/394.
(5) الواحديّ، البسيط: 7/454.

إلى نكدهم، وبما هو مسبّب عن البخل والنّكد من لصوق العار بهم وبعدم القدرة والمكنة، بسبب العجز والفقر[1].

جمال الجناس الاشتقاقي:

جمال التّعبير اللّفظي بإيراد ألفاظ من جذر واحد في جملة واحدة؛ تنبيهًا على غلّ أيديهم

قوله جلّ شأنه: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ جاء في العبارة لفظان: ﴿مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ﴾ من جذر واحد وهو (غلل)، وهذا جناس اشتقاقيّ يخلع على العبارة جمالًا لفظيًّا، مع فائدة معنويّة وهي تنبيهٌ للسّامع على اللّفظة الثّانية المكرّرة على مستوى الجذر وهي: ﴿غُلَّتۡ﴾؛ دلالةً على أنّ الغلول أحقّ بهم.

دلالة الإضراب في (بل):

أبطل قولهم بنسبة البخل له تعالى عمّا يقولون، ليبيّنَ خلافه

قوله جلّ شأنه: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ تفيد (بل) الإضراب، وهو هنا لإبطال دعواهم بنسبة البخل له تعالى عمّا يصفون[2]، فأضرب ليبيّن خلاف ما قالوا، وهو إثبات أنّ يده ﷻ مبسوطة؛ دلالةً على الكرم والجود.

المجاز بالإخبار عن اليد:

ذكر الجارحة وأراد ما يسبّب عنها وهو الجود والإنفاق

قوله جلّ شأنه: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ لما وصفوا الله تعالى بالبخل بقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾ تعالى الله عمّا يصفون ردّ عليهم على قدر كلامهم، فهو جواب لليهود على مقالتهم التي أرادوا بها تبخيل الله تعالى، أي هو جواد كريم[3]، فَلمّا كان الجواد يفرّق المال وينفقه بيده، والبخيل يمسك اليد عن الانفاق أسندوا الجود والبخل إلى اليد فليس لذِكر اليد في الآية على هذا المعنى معنًى إلّا إفادة معنى الجود والبخل[4].

(1) الزمخشري، الكشاف: 1/656، والرازي، مفاتيح الغيب: 12/394.
(2) الصّاوي، حاشية الصّاوي على الجلالين: 1/276.
(3) الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/190، والواحديّ، البسيط: 7/454.
(4) الواحديّ، البسيط: 7/459.

فائدة التّعبير عن البخل والجود بقبض اليد وبسطها:

أفـــاد تثبيت الـــصّـــورة في الـــذّهـــن؛ لأن المـادّيـات بالحواسّ أعلق

قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾تعبيرعن الجود والكرم، كما أنّ قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ﴾ تعبير عن البخل والإمساك، فعبّر عن المعاني المجرّدة بصورة مادّية مجازًا، لأنّ تصوير المعاني بصورة حسّية تلازمها غالبًا، إذ الصّورة الحسّية أثبت في الذّهن من المعاني[1].

إيثار تثنية اليد على الإفراد:

عـبّر عـن اليـد بالـتّـثـنـيـة ردًّا على مقالتهم، مـبـالـغـةً في الجود والإنعام وسعة الإنفاق

قوله جلّ شأنه: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ جاء لفظ اليد بالتّثنية ردًّا على مقالة اليهود التي وردت بالإفراد في قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ﴾؛ مبالغةً في الرّدّ عليهم، وهو أبلغ وأدلّ على إثبات غاية السّخاء له ونفي البخل عنه تعالى، فإنّ غاية ما يبذله السّخي من ماله أن يعطيه بيديه[2]، فعبّر بالتّثنية عن الكثرة مبالغةً في الجود والإنعام[3].

المجاز بذكر بسط اليدين:

وصـف اليـدين بالبسط والمراد وصـــف الـلـه تـعـالى بالكرم والجود

قوله جلّ شأنه: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ عبّر عن جوده وكرمه تعالى ببسط اليد، كقول العرب: فلان يعطي بكلتا يديه للدّلالة على أنّه عظيم السّخاء[4]، فاليد المبسوطة لا يقف فيها شيء، إشارة إلى أنّ المال لا يقف فيها، وأنّها لا تكنز المال، فهي دليل على العطاء، فكانت تعبيرًا عن الكرم والجود.

الحكمة من الاستئناف:

استأنف لتأكيد جـــوده وكـرمـه وسعة إنفاقه، وأنّـه ينفق على مقتضى الحكمة

قوله جلّ شأنه: ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ﴾ جملة مستأنفة لتأكيد وصفه بالسّخاء والجود والكرم، وبيانًا للمجاز في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، ودلالة على أنّه لا ينفق إلا على مقتضى الحكمة[5].

---

(1) الطّيبي، فتوح الغيب: 5/415.

(2) الزمخشري، الكشاف: 1/656، والرازي، مفاتيح الغيب: 12/396، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 2/135، والنسفي، مدارك التنزيل: 1/459.

(3) الواحديّ، البسيط: 7/460، والرّاغب، تفسير الراغب: 5/393، وابن جزي، التسهيل: 1/238.

(4) ابن جزي، التسهيل: 1/238.

(5) النسفي، مدارك التنزيل: 1/459، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/58، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 6/250.

فائدة تقييد الإنفاق بعد إطلاقه:

قولـه جلّ شأنه: ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ تقييد لمطلق الإنفاق المعبّر عنه بقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾؛ إذ قد يتبادر إلى الفهم أنّه يلزم التّبذير والإسراف، فقيّد الإنفاق لبيان أنّه ينفق بحسب مقتضى الحكمة[1].

قيّد إطلاق الإنفاق لبيان أنّه ينفق بحكمة

قولـه جلّ شأنه: ﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾ تعبيرٌ عن كونه مختارًا في إنفاقه، يوسّع مرّة ويضيّق أخرى، على حسب مشيئته ومقتضى حكمته، لا على حسب شهوتكم، ولا على تعاقُبِ سعةٍ وضيق في ذات يد[2]، والمعنى أنّ التّضييق في الرّزق ليس لقصور في فيضه، بل "لأنّ إنفاقه تابع لمشيئته المبنيَّةِ على الحِكَم التي عليَها يدورُ أمرُ المعاش والمعاد"[3].

ينفق بحكمه، وينزِل كلّ شيء بقدر، لا على رغباتكم

فائدة التعبير بلام القسم:

قولـه جلّ شأنه: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم﴾ عبّر عن تأكيد الكلام بلام القسم، والتّقدير: واللّه ليزيدنّ[4]، وإنّما أكّد الكلام لأنّه إخبار بما يُستغرب ولا يُتوقّع، فكيف يكون الكتاب الذي أنزل هداية للنّاس سببًا في زيادة الكفر كفرًا.

عبّر بلام القسم تأكيدًا لمضمون الخبر

الحكمة من الإخبار عن زيادة كفرهم بنزول القرآن:

قولـه جلّ شأنه: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ أخبر عن ازدياد كفرهم بنزول القرآن إعلامًا للرّسول ﷺ بفرط عتوّهم، إذ كان ينبغي لهم أن يبادروا بالإيمان، بما سمعوا من آيِ القرآن، ولكنّهم رتبوا على ذلك غير مقتضاه،

أخبر عن زيادة كفرهم بنزل القرآن بيانًا لحسدهم وعنادهم وفرط عتوّهم

(1) الزمخشري، الكشاف: 1/656 - 657، والطّيبي، فتوح الغيب: 5/419.
(2) الواحديّ، البسيط: 7/463، والرّاغب، تفسير الراغب: 5/394، والرازي، مفاتيح الغيب: 12/396، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 2/135.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/58.
(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 6/240، والقنّوجي، فتح البيان: 4/14.

فزادهم ذلك طغيانًا وكفرًا، وإظهارًا لحسدهم، وتنبيهًا للرّسول ﷺ والمؤمنين لأخذ الحذر منهم[1].

الحكمة من تقديم المفعول به:

قدّم المفعول به لاهتمام به، ولأنّه هو المقصود بالبيان

قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ قدّم المفعول به وهو قوله: ﴿كَثِيرًا مِّنْهُم﴾ للاعتناء به[2]؛ فالمراد إظهارُ فعلهم إزاء نزول القرآن، وليس المراد بيان نزول القرآن ثمّ ما يترتّب عليه بعد النّزول، فالحكمة من الإخبار هي بيان كثرة من يقع منه زيادة الكفر، فقدّمه لأنّه المقصود بالإخبار.

كيفيّة زيادة كفرهم:

كلّ قرآن ينزل يتجدّد كفرهم به، فهو في ازدياد

قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ الزّيادة في كفرهم "إمّا من حيث الشّدةُ والغلوُّ، وإمّا من حيث الكمُّ والكثرةُ؛ إذ كلّما نزلت آية كفروا بها، فيزداد طغيانُهم وكفرهم بحسب المقدار"[3]، أي كلّما نزل عليك شيء من القرآن والحجج كفروا به، فيزِيدُ كفرهم[4] تبعًا لذلك، فهو ليس إخبارًا بأنّ نزوله سببٌ في ازدياد كفرهم، بل إصرارهم على الكفر يتجدّد كلما نزل قرآن، فيزدادون كفرًا وطغيانًا بذلك الإصرار.

فائدة التقييد بالكثرة:

لم يعمّم لأن فيهم من آمن، ومن لا يطغى

قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم﴾ لمّا كان فيهم من آمن بالله تعالى، ومن لا يطغى كلّ الطّغيان[5]، فنسب الزّيادة إلى الكثرة منهم دون الجميع؛ لأنّ الوصف لا يشملهم جميعًا، على عادة القرآن

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/316، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 6/251.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/58.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/58.
(4) الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/190، والرازي، مفاتيح الغيب: 12/396 - 397.
(5) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/216.

في العدل والإنصاف، ولم يقل: (وليزيدنّهم) بالضّمير؛ لأنّ الضّمير سيجعل الحكم عامًّا، وهو ليس مرادًا.

الغرض من تقديم (إلى) على (من)

المقام يقتضي الاهتمام بالمُنزَل إليه؛ لأنّه سبب زيادة كفرهم

قوله جلّ شأنه: ﴿مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ قدّم الجار والمجرور: ﴿إِلَيۡكَ﴾ الذي يدلّ على منتهى الرّسالة لما في (إلى) من دلالة على الغاية، على الجارّ والمجرور: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ الدّالّ على مبدأ الرّسالة، لدلالة (مِن) على الابتداء، والمبدأ حقّه أن يكون أوّلًا؛ فقدّم ﴿إِلَيۡكَ﴾ لأنّ السّياق يتناول زيادة كفرهم، وهي متعلّقة بنزولِ القرآن إليه [1] ﷺ.

إضافة لفظ الرّبوبيّة إلى ضمير الخطاب:

أضاف لفظ الرّبوبيّة إلى النّبي ﷺ تشريفًا له

قوله جلّ شأنه: ﴿مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ ذكر أنّ نزول القرآن إلى النّبيّ ﷺ من ربّه ﷻ، فخاطبه بإضافة لفظ الرّبّ إلى ضمير الخطاب تشريفًا له ﷺ [2].

الحكمة من الاستئناف:

لمّا ذكر طغيانهم ذكر أنّهم مشغولون ببغض بعضهم عن المسلمين

قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ استئنافٌ مَسُوقٌ لنفي ما قد يُتوهَّمُ من ذكر طغيانهم وكفرهم من الاجتماع على أمرٍ يؤدِّي إلى الإضرار بالمسلمين [3].

فائدة الإخبار بإلقاء العداوة بينهم:

إخبار بأن عقابهم قد وقع في الدّنيا، تسليةً للرّسول

قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ أخبر الله تعالى أنّه عاقبهم في الدّنيا ببغض بعضهم بعضًا، إيماءً إلى أنّ ذلك بسبب بغضهم المسلمين، وفيه تسلية للرّسول ﷺ فلا يهمّه أمر عداوتهم له؛ لأنّ البغضاء سجيّتهم حتّى بين أقوامهم [4].

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/58.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/58.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/59.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 6/251.

بلاغة التّعبير عن حدوث العداوة بينهم بالإلقاء:

قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ عبّر عن حدوث العداوة بينهم بالإلقاء، والإلقاءُ يتعلّق بما له جرم مادّي، فكأنّ العداوة والبغضاء أشياء لها ذوات مادّية؛ مبالغةً في ظهورهما وشدّة حضورهما بينهم.

عبّر عن حدوث العداوة والبغضاء بفعل يتعلّق بالمادّيات مبالغة في ظهورهما وشدّتهما

إسناد الإلقاء إلى ضمير المتكلّمين:

قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أسند الإلقاء إلى ضمير المعظّم نفسه تعظيمًا للبغضاء والعداوة الملقاة بينهم، فهي ليست بغضاء كأيّ بغضاء أخرى، بل هي عقوبة من الله تعالى، لذلك علّقت بالبقاء إلى يوم القيامة.

أسند الإلقاء إلى ضمير المعظّم نفسه تعظيمًا لمضمون الجملة

فائدة الإخبار بأن العداوة باقية إلى يوم القيامة:

قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أخبر بأنّ هذا الوصف باقٍ إلى يوم القيامة؛ للدّلالة على أنّه وصف دائم لهم يعجزون عن مداواته[1].

أخبر بأن العداوة والبغضاء باقية إلى يوم القيامة للدّلالة على دوام ذلك

العطف بين الجمل:

قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ معطوف على قوله ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾؛ لأنّها قصة معطوفة على قصّة؛ إذ كلتاهما عن اليهود[2].

الوصل يناسب عَطْفَ قصّة على قصّة

بيان مرجع الضّمير، بين مَن ألقيت العداوة؟

قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ الضّمير يعود على أهل الكتاب، فهو شامل لليهود والنّصارى، وكلّ طوائف اليهود المختلفة؛ دلالةً على أنّ العداوة والبغضاء قائمة بينهم جميعًا[3].

إلقاء العداوة بين طوائف اليهود، وبين اليهود والنّصارى

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 6/251.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/216.

(3) الواحديّ، البسيط: 7/463، والرازي، مفاتيح الغيب: 12/397، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 6/240، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/316 - 317.

الجمع بين العداوة والبغضاء:

العـداوة أخصّ من البغضاء، فقد لا يصحب البغض عداوة

قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ جمع بين العداوة والبغضاء للمبالغة فيما بينهم من اختلافات وبغض، بحيث إنّ بغضهم في ازدياد حتّى يبلغ مرتبة العداوة، والعداوة أخصّ من البغضاء؛ لأنّ كلَّ عدوٍّ يبغض عدوّه، وقد يُبغض من ليس بعدوّ، فالبغضاء أعمّ، وقد ألقى الله الأمرين على بني إسرائيل[1]. وفيه دلالة على أنّ العداء بينهم لا ينتهي؛ لأنّه مبنيّ على البغض، لا على خلاف قد يزول فتزول العداوة، ولذلك وصفه بأنه باقٍ إلى يوم القيامة.

الحكمة من الاستئناف:

لمّا ذكر أنّ بينهم عداوة وبغضاء صرّح بأنهم لن يقدروا على محاربة المسلمين

قوله جلّ شأنه: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ استئناف لبيان أنّ ما هم فيه من التّعادي فيما بينهم يبطل ما يعزمون عليه من محاربة المسلمين، فهو تصريح بعدم وصول كيدهم إلى المسلمين[2].

الدّلالة على الظّرفية والتّكرار في (كلّما):

عبّر بـ (كلّما) للدّلالة على تكرار خذلان الله تعالى لمساعيهم في محاربة المسلمين على وجه التّأكيد

قوله جلّ شأنه: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ﴾ عبّر بـ (كلّما) وهي ظرف وضع للتّكرار مع الدّلالة على التّوكيد[3]، أي كلّما جمعوا وأعدّوا شتّت الله شملهم وفرّق جمعهم[4]. وفي ذلك تعبير عن إصرار آخر وهو إصرارهم على إثارة الحروب والتّحريش بين النّاس. بعد أن عبّر سابقًا عن إصرارهم على المعاصي والطّغيان، وذلك يدلّ على كمال عتوّهم وتمرّدهم.

استعارة إيقاد النّار للشّر:

قوله جلّ شأنه: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ﴾ عبّر عن جمعهم

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/216، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/317.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/59.
(3) عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم: 2/378.
(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 6/240.

عبّر عن إثارتهم الشّرَّ وجمع أمرهم للحرب بإيقاد النّار

وإعدادهم للحرب بإيقادهم النّار، فمعنى ﴿أَوْقَدُواْ نَارًا﴾: أهاجوا شرًّا وأجمعوا أمرهم على الحرب، فالمشبّه هو التّهيّؤ للحرب والاستعداد لها، والمشبّه به إيقاد النّار[1]، بجامع الإعداد والتّهيئة؛ فمن يريد إيقاد النّار فإنّه يجمع الحطب ويراكمه لإضرام النّار، وكذلك من يريد الحرب فإنّه يحشد النّاس ويهيئ السّلاح وغيره من لوازمها، وقرينة إرادة الاستعارة ذكر الحرب، فالحرب لا تتطلّب إيقاد النّار.

استعارة إطفاء النّار لفضّ الجموع وانحلال عزمهم:

استعارة إطفاء النّار لفضّ جموعهم وتفريقهم وخذلانهم

قوله جلّ شأنه: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ بعد أنِ استعار إيقاد النّار للإعداد للحرب، استعار إطفاءها لخذلانهم وفضّ جموعهم وتشتّتهم وانهزامهم قبل الحرب[2]، فالمشبّه هو تشتّتهم وانهزامهم، والمشبّه به هو انطفاء النّار بعد إيقادها، والجامع بينهما عدم تحقّق الفائدة، فلم ينالوا مأربهم ولا انتفعوا بجمعهم، والقرينة الدّالة على إرادة الاستعارة هي ذِكرُ الحرب.

التّعبير عن الحرب بتعريف الجنس دلالة على العموم:

عبّر عن الحرب بتعريف الجنس للدّلالة على خذلانهم في كلّ حرب، تبشيرًا للمؤمنين

قوله جلّ شأنه: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ ذكر الحرب معرّفة تعريف الجنس؛ للدّلالة على كلّ حروبهم، فكلّما جمعوا وأعدّوا للحرب، غُلبوا وقُهروا، ولم يقم لهم نصر من الله ﷻ على أحدٍ قطّ[3].

إسناد الإطفاء إلى الله تعالى:

قوله جلّ شأنه: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ أسند الإطفاء إلى ذاته الجليلة إيماءً إلى عظمة كيدهم، وقوّة جمعهم،

(1) ابن جزي، التسهيل: 1/238، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 6/251.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/216، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/317، وابن جزيّ، التسهيل: 1/238.
(3) الواحديّ، البسيط: 7/464، والبغوي، معالم التنزيل: 2/67، والنسفي، مدارك التنزيل: 1/460.

بحيث إنّه تعالى هو الذي يتولّى إبطال مساعيهم، وتشتيت جمعهم. كما أنّه يدلّ على قوّة الإطفاء، فتذهب مساعيهم أدراج الرّياح، فلا ينتفعون بشيء ممّا عزموا عليه.

أسند الإطفاء إلى ذاته الجليلة، إشارة إلى عظم كيدهم، ودلالة على قوّة استئصال مساعيهم

دلالة ذكر سعيهم بالإفساد بعد ذكر الحرب:

قوله جلّ شأنه: ﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ﴾ عبّر عن سعيهم بالفساد بعد ذكر خيبتهم في إثارة الحروب لبيان أنّهم لا "يحصل في أمرهم قوة من العزّة والمنعة، إلّا أنّهم يسعون في الأرض فسادًا، وذلك بأن يخدعوا ضعيفًا، ويستخرجوا نوعًا من المكر والكيد على سبيل الخُفية"[1]؛ وفي ذلك إشارة إلى عراقتهم في الشّر والبغي، فلمّا لم يقع في أيديهم إثارة الحروب فإنّهم لم يتوانوا عن طغيانهم، فاستعاضوا عن ذلك بالإفساد.

ذكر سعيهم بالفساد بعد ذكر خذلانهم في إثارة الحروب، اكتفاءً منهم بإثارة الفتن وخداع النّاس

بلاغة التّعبير عن إفسادهم بالسّعي:

قوله جلّ شأنه: ﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ﴾ عبّر عن فعلهم الفساد بالسّعي؛ دلالةً على اجتهادهم في الكيد للإسلام وأهله وإثارة الشرّ والفتنة، وخداع النّاس[2].

عبّر عن فسادهم بالسّعي دلالة على اجتهادهم فيه، ومبالغة إفسادهم

التّعبير بالسّعي دون الإفساد المباشر:

قوله جلّ شأنه: ﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ﴾ عبّر عن فسادهم بالسّعي دون الإفساد، فلم يقل: (ويفسدون في الأرض) لبيان أنّ الإفساد كان مقصدًا لهم وليس فعلًا عارضًا، فهم يجتهدون في ذلك، وليس المعنى أنّهم يقومون ببعض المعاصي التي هي من الفساد، بل هم يفعلون الفساد بحرص واجتهاد.

عبّر عن فسادهم بالسّعي دون الإفساد لبيان أنّ الإفساد كان مقصدًا لهم وليس فعلًا عارضًا

(1) الرازي، مفاتيح الغيب: 12/397 - 398.

(2) الرازي، مفاتيح الغيب: 12/397 - 398، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 6/241، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/318، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/59.

دلالة نفي المحبّة عن المفسدين:

قوله جلّ شأنه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ أخبر الله تعالى بنفي محبّته عنهم، والمراد نفي لوازمها، فلا يظهر عليهم من أفعال الله تعالى ما يشعر بمحبّته لهم، وإعلامًا بأنّه لا يجازيهم إلّا الشّرّ، وأنّه معاقبهم[1].

نفى تعالى محبّته عنهم، نفيًا للوازمها، فلا يأتيهم من الله ما يشعر بمحبّته لهم

دلالة اللّام على تعريف الجنس والعهد:

قوله جلّ شأنه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ تدلّ اللّام في ﴿ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ على تعريف الجنس، فالله تعالى لا يحبّ كلّ مفسدٍ، في كلّ زمان. ويصلح أنْ تكون للعهد، والمعنى أنّه لا يحبّ هؤلاء المذكورين المتّصفين بالإفساد[2].

اللّام للجنس فهم داخلون فيه، أو للعهد فهم المعنيّون بالوصف

وضع الظّاهر موضع المضمر:

قوله جلّ شأنه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ إن كانت اللّام للعهد فيكون من باب وضع الظّاهر موضع المضمر، فلم يقل: (والله لا يحبّهم)؛ بيانًا لشدّة فسادهم وكونهم متّصفين به ولا ينفكّون عنه[3]، ويضاف إلى ذلك أنّ التّعبير بالظّاهر أبان علّة انتفاء المحبّة، وهي اتّصافهم بالإفساد، فالله تعالى لا يبعد أحدًا من محبّته لذاته، بل لما اتّصف به ولما كسبت يداه.

وضع الظّاهر موضع المضمر؛ لبيان أنّ اتصافهم به ثابت، ولإظهار علّة انتفاء المحبّة، وأنّها انتفت بسبب الإفساد لا لذواتهم

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/216، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 2/135، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/318.
(2) القنّوجي، فتح البيان: 4/15.
(3) القنّوجي، فتح البيان: 4/15.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع، سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 9 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-61-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 9 : سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-61-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3504784 بتاريخ 2023/03/27م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»